جمهورية العراق
وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة ميسان / كلية التربية

(عنوان البحث)
التوجه العثمانية نحو المشرق العربي في القرن السادس عشر

بحث مقدم من قبل الطالبة
زينب جبار محمد

بأشراف
م.م. علاء شيحان حجي

وهو جزء من نيل شهادة البكالوريوس

٢٠٢٤م ١٤٤٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة:٢٦٩)
صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الإهــداء

إلى وطني العزيز ..... العـــراق
إلى جيشنا الباسل المقدس ..... العيون الساهرة
إلى شهداء العراق الأبطال ..... أسكنهم الله فسيح جناته
إلى ينابيع الحنان ومفاتيح الجنان ..... أمي وأبي (حفظهما الله)
إلى سندي وفخري ..... زوجي العزيز
إلى اخوتي ..... وقرة عيني
إلى رفقتي زملاء الدراسة ..... اعتزازا ووفاءً
إلى كل من قدم العون لي ..... شكرا وامتنانا

شكـر وامتنان

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلم علـى سـيد المرسـلين محمـد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين

وبعد ...

أتقـدم بفـائق شـكري وعظـيم امتنـاني إلـى مشـرفي الأسـتاذ (م.م. عـلاء شـيحان حجـي) لمـا أبـداه مـن مسـاعدة ومشـورة علميـة وإرشـادات تربويـة اغنـت البحـث واوصـله بالصـورة الجيدة, وكان بحق نعم العون فجزاه الله عني خير الجزاء.

كمـا أتقـدم بالشـكر الجزيـل للأسـاتذة الـذين قـاموا بتحمـل الظـروف كلهـا ومجابهتهـا فـي سـبيل إيصـال العلـم وخدمـة المسـيرة العلميـة فجـزاهم الله عنـي خيـر الجـزاء. واعتـزازا ووفـاءً وإخلاصـا أتقـدم بالشـكر الجزيـل إلـى رفـاق الدراسـة الـذين كـانوا بحـق نعـم الإخـوة ونعـم الأصـدقاء ادعـوا مـن الله أن يـوفقهم ويحميهم مـن كـل شـر . وعـذرا إلـى مـن لـم تسـعفن ذاكرتـي علـى ذكـر أسـمائهم فلهـم منـي أجمل تحيه وأطيبها داعيا الله أن يوفق كل إنسان يحب الخير .

وآخـــر دعوانـــا أن

الحمد لله رب العالمين

خطـــــــــــة

المبحث الأول : لمحة عن سليم الأول.

أولاً : مولده ونشأته.

ثانياً : صفاته.

ثالثاً : تولي سليم الأول العرش.

رابعاً : وفاته.

المبحث الثاني : الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي.

أولاً : دوافع التوجه بهم سليم الأول إلى المشرق العربي.

ثانياً : الصراع العثماني الصفوي.

ثالثاً : الصراع العثماني المملوكي.

المبحث الثالث : الضم العثماني لبلاد المشرق العربي.

أولاً : معركة مرج دابق والسيطرة العثمانية على بلاد الشام

ثانياً : التوسع العثماني نحو مصر .

ثالثاً : السيطرة العثمانية على العراق .

رابعاً : انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق العربي وآثارها.

مقدمة :

الدولة العثمانية هي آخر دولة إسلامية حكمت بلاد المسلمين،واستمر حكمها حوالي ستمائة سنة، بعد أن أسسها عثمان الأول بن أرطغول وتعود أصولها إلى الأتراك، وبلغت أوج قوتها وعزها ومجدها في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وامتدت إمارتها لتشمل أهم قارات العالم القديم وهي آسيا، وأفريقيا ،و أوروبا، وأطلق عليها عدة أسماء أخرى مثل السلطنة العثمانية والدولة العلية.

وفي القرن السادس عشر شهدت الدولة العثمانية عدة تغيرات أساسية، ففي السنوات الأولى من هذا القرن اصطدمت الدولة بدولة المماليك في الشام ومصر، فكانت هذه الدولة الناشئة محط أنظار الدولة المملوكية لأن العثمانيين كانوا قد حققوا انتصارات ورفعوا راية الجهاد ضد أوربا الشرقية المسيحية (الإمبراطورية البيزنطية)، وكان المسلمون في أرجاء العالم يطربون لسماع انتصاراتهم المتتالية.

وقد مرت الدولة العثمانية في خلافتها بثلاثة عصور كان أولها عصر القوة ،والذي بدأ منذ عهد عثمان مؤسس الدولة وصولا إلى سليم الأول وابنه سليمان القانوني، فبعد أن تشبعت الدولة العثمانية بفتوحاتها الأوروبية توجهت أنصار سليم الأول نحو المشرق العربي من أجل توحيد الأمة الإسلامية ففكر في أن خضوع العالم العربي يجب أن يكون للعثمانيين خاصة وأن دولتهم أقوى الدول الإسلامية في ذلك الحين، فبعد أن أتيحت الفرصة للسلطان سليم الأول للقيام بانقلاب عسكري ضد أبيه با يزيد الثاني في ١٥١٢م أبدى منذ بداية حكمه ميلا إلى سفك الدماء، فاستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، كما كان محبا لخوض المعارك وعلى هذا الأساس بدأ سياسته جديدة إزاء المشرق العربي.

فإن العالم الإسلامي عرف تنافس لثلاث قوى إسلامية وكل منها حاولت التوسع على حساب الأخرى، وتمثلت في قوة الصفويون في الشرق (إيران والعراق)، بينما كانت قوة العثمانيين في الغرب)آسيا الصغرى(، وقوة المماليك في بلاد الشام ومصر.

كما كان الصفويون من المذهب الشيعي بينما العثمانيون والمماليك من أهل السنة وبسبب الصراع على النفوذ تأزمت العلاقات بين العثمانيين والصفويين من جهة وبين العثمانيين والمماليك من جهة أخرى .

ففي تلك الفترة كانت دولة المماليك في حالة انحطاط بالمقابل دولة العثمانيين في حالة ازدهار لذلك نجدهم كانوا يطمحون لزعامة العالم الإسلامي فكانت علاقتهم علاقة مجاملة ثم تحولت إلى صدام عسكري، وبما أن سياسة الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول قامت على القضاء على الصفويين وضم الدولة المملوكية، وحماية الأراضي المقدسة بدأ السلطان سليم الأول بمحاربة الدولة الصفوية وقائدها الشاه إسماعيل الصفوي حيث أنه كان يمثل الخطر المباشر على الدولة العثمانية.

- **سبب اختيار الموضوع:**

ويعود سبب اختيارنا لموضوع البحث إلى عدة أسباب نذكر منها: نظرا لأهمية شخصية السلطان سليم الأول في التاريخ العثماني وضمه للبلاد العربية، ومدى أهمية هذه المرحلة التاريخية في تاريخ الدولة العثمانية العلية، التي تمثل أعظم الدول في تقدمها وازدهارها، كذلك تعتبر ظاهرة ضم العثمانيين للبلاد العربية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر من الظواهر التاريخية الجديرة بالدراسة.

- طرح الإشكالية:

أما بالنسبة إلى إشكالية البحث المطروحة هنا هي:

- إلى أي مدى نجحت سيطرة سليم الأول على بلاد المشرق العربي؟
- ومنه تتفرع الأسئلة الجزئية:
- من هو سليم الأول وما هي أهم إنجازاته؟
- ما هي أهم النتائج التي أسفرت عنها الحرب العثمانية الصفوية؟
- فيما تمثلت المعارك التي قادها سليم الأول للسيطرة على المشرق العربي؟

- عرض خطة البحث:

جاء المبحث الاول بعنوان : لمحة عن السلطان سليم الأول (١٥١٢ – ١٥٢٠) , بدءاً من الولادة والنشأة , مع ذكر أهم الصفات التي تميز بها , وفترة توليه السلطة حتى وفاته , أما المبحث الثاني : فقد تناول الأمتداد العثماني اتجاه المشرق العربي , حيث تطرقنا الى اسباب توجه السلطان سليم الاول نحو المشرق العربي , وقد ابان التنافس العثماني الصفوي , وانعكاسه على العلاقات العثمانية المملوكي , وتناولنا في المبحث الثالث مسألة الحكم العثماني لبلاد الشام , ومعركة مرج دابق , وكذلك التوسع العثماني نحو مصر , والعراق والحجاز واليمن , وانعكاسات واثر الوجود العثماني في العربي .

- منهج البحث:

وقد اتبعنا في بحثنا وعملنا المنهج الوصفي التحليلي حيث قمنا بالتحدث عن أهم المعارك وبينا أهم الأحداث التي جرت في عهد جرت في عهد السلطان سليم الأول، ولتسهيل فهم ما تناولته هذه الفترة من تاريخ الدولة العثمانية.

- عرض المصادر والمراجع:

ولإثراء الموضوع حاولنا الإلمام والحصول على قدر كبير من المصادر والمراجع التي تناولته بأدق تفاصيله، ومن بينها كتاب تاريخ سلاطين بني عثمان من أولنشأتهم حتى الآن بحضرة عزتلو يوسف بك آصاف وأفادنا في المبحث الأول في التحدث عن مولد السلطان سليم الأول وكذلك المبحث الثالث تولي سليم الأول العرش، وكتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي الذي أفادنا في المبحث الثاني في الفصل الثالث الذي تناولنا فيه معركة الريدانية ١٥١٧م، وكتاب سليم الأول العثماني وإسماعيل الصفوي لشوقي أبو خليل وأفادنا هذا الكتاب بشكل كبير في المبحث الثاني من الفصلالثاني في التحدث عن معركة جالديران وأيضا كتاب آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني لإبن زنبل الرمال وأفادنا هذا الكتاب في المبحث الأول منالفصل الثالث، وأيضا كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لإبن إياس الذي أفادنا في التطرق إلى علاقة العثمانيين بالمماليك ،وأيضا كتاب تاريخ الدولة العثمانية لزين العابدين شمس الدين نجم الذي ساعدنا في التحدث عن انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق وآثارها، وأيضا كتاب العثمانيون منقيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة لسهيل طقوس الذي أفادنا في نفس العنصر وغيرها من المصادر والمراجع.

-الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز العمل:

_ قلة المصادر والكتب المتخصصة حول الموضوع . لكن رغم هذه الصعوبات التي واجهتنا تحديناها بالعزم والإرادة وتمكنا من إعداد البحث العلمي والحمد لله.

المبحث الأول

لمحة عن شخصية سليم الأول

أولاً : مولده ونشأته :

ولد سليم الأول عام (٨٨٥ هـ) بأماسيا[١] ، وهو ولد بايزيد الثاني والدته كليهازخاثون دامت سلطته من ١٥١٢-١٥٢٠ حدود دولته ٥٦٥٥٧٠٠٠م[٢] ، هو تاسع سلاطنة آل عثمان وهو أول خليفة منهم لأن السلاطين بعده خلفاء أيضا أي أن كلا منهم سلطان وخليفة أي له السلطتان السياسية والدينية استولى على العرش سنة ٩١٨هـ وعمره ٤٦ سنة، نازعه[٣] في الملك ابن أخيه علاء الدين[٤] لكنه استولى على السلطة بعد الفتنة التي عصفت بحكم والده وإجباره على التنازل على العرش لأبنه سليم، وقد أبد سليم منذ البداية في حكمه ميلا إلى سفك الدماء فاستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، وما لبث فيها بعد أن قتل عددا كبيرا من راعيته، وأقدر معاونيه وأيد جيش لخوض المعارك[٥] لم يكن سليم مهتما بالأعمال العسكرية البحرية لأنه ورث عن آبائه شواطئ آمنة فوجه أنظاره إلى الأعمال البرية فأخترق الهضبة الفارسية سنة ١٥١٤ كونها كانت تشكل مصدر قلق له ولآبائه من قبل وبعدها هاجم الدولة المملوكية في معركتي مرج دابق ١٥١٦ و الريدانية ١٥١٧ و أزالها وغدت ممالكها جزءا من إمبراطوريته.[٦]

فرغم قسوته كان يميل إلى صحبة رجال العلم والدين والفكر والدين ورقي كثيرا منهم لتولي وظائف عليا وهامة وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك ويشيدوا القصائد التي تحكي أخبار الماضي.

اهتم بشؤون حدوده التي كانت تواجه احتمال الغزو وبعد تولي الصفويين حكم فارس ،خاصة وأنه كان أول حاكم عثماني على علم وثيق بأحوال الثغور الشرقية للإمبراطورية، فقد أقام عدة سنوات في طرابيزون وتخالف على حكام القرم، كما أعانه ابنه سليمان القانوني في تجسيد القوات البشرية التي أدت إلى توليه الحكم.[٧]

١ - إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا) مؤسسة الكتب الثقافية ،لبنان ،١٤٠٨ هـ ١٩٨٨، ص٧٩.

٢ - محمود علي عامر: الدولة العثمانية، نشأتها، قياسها، انهيارها ، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن ،١٤٣٧ه-٢٠١٦م، ص٢٦٩.

٣ - جرجي زيدان: مصر العثمانيين، تح و درا وتع: محمد حرب، دار الآفاق العربية، القاهرة ،١٤٢٢ هـ , ٢٠٠٢م ،ص ٦٨.

٤ - عزتلو يوسف بك أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتها حتى الآن ، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٤م، ص٦٢.

٥ - إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديثة، مكتبة العبيكان، الرياض ،١٤١٢ه-١٩٩٢م ،ص٣٣.

٦ - محمود علي عامر، المصدر السابق، ص٥٠.

٧ - إسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ٥٦.

عاش سليم أربعا وثمانين عام وقضى منها على تخت السلطة ٨ سنوات وهوأول سلطان يطلق لجيشه كان رجال الدولة يعبونه بذلك فكان عالما وشاعرا يميل إلى حسن النظم له ديوان أشعار بالتركية والفارسية والعربية.[١]

توفي ٢١-٢٢ أيلول ١٥٢٠م سرطان بسبب الأفيون)[٢](رحمه الله وجعل الجنة مأواه.

ثانياً : صفاته.

يروي المؤرخون الذين عاصروا السلطان سليم الأول أنه رجلا فارغ الطول، عريض المنكبين وذو شارب عظيم[٣] وقيل بأنه كان يضع أذنيه، لكن عددا من المؤرخين يشك بصحةهذا الأمر،ذلك لأن وضع الرجل للأقراط محرم في الإسلام، بما أنه يعتبر تشبها بالنساء[٤] كذلك فقد كان عصبي المزاج سريع الغضب وذو شخصية ملحمية كما أبطال الروايات ويعرف عليه[٥] بشراسته وحدة طبعه وحبه لسفك الدماء بالإضافة إلى أنانيته القاتلة وحبه لذاته.

ولقد كان سريع الفتك لمن يعارضه، مسرفا في قتل خصومه لا يعرف العفو مطلقا مع كل هذا كان فاضلا ذكيا حسن الطبع، بعيد الغور، صاحب رأي وتدبير،كما كان يتكلم اللغة العربية والتركية والفارسية، وكان محبوبا لدى الجند عموما والإنكشارية خصوصا، يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ.[٦]

ورغم قسوته كان يميل إلى صحبة رجال العلم ويلقب بالشعاع عند الأتراك نظرا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة، ويعرف عند الغرب، عند الانجليز خصوصا باسم سليم العابس نظرا لما يقوله بعض المؤرخين بأنه كان دائما متجهم الوجه[٧]وكان استراتيجيا فذا، وكانت

١ - عزتلو يوسف بك آصاف: المصدر السابق، ص٩٥.
٢ - محمود علي عامر، المصدر السابق، ص٢٨١.
٣ - محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت , ٢٠٠٠، ص ٢٤٣.
٤ - محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ،٢٠٠٢ م، ص١٤٠.
٥ - المصدر نفسه، ص١٤١.
٦ - إبراهيم حسنين: سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية ، ٢٠١٤م، ص ٢٤١.
٧ - إبراهيم حسنين: المصدر نفسه، ص٢٤١.

تأتيه تقارير من أنحاء العالم، وقد واجهته تحديات خطيرة تتصل بوراثة العرش استطاع حسمها.[١]

ثالثاً : تولي سليم الأول العرش.

لقد تمثلت الأوضاع الداخلية عشية اعتلاء سليم الأول العرش في ظهور منازعات خطيرة بين أبناء السلطان بايزيد الثاني من أجل السلطة والوصول إلى كرسي العرش. [٢]

فكان لبايزيد الثاني ثمانية أولاد ذكور، توفي خمسة منهم وبقي ثلاثة،وهم كركود*،وأحمد وسليم، فسليم كان رجل حرب وبطش فأحبه الإنكشارية ونصروه، فالأمير سليم كان أكثر قدرة في شؤون الحرب والقتال لذا نال تأييد الإنكشارية وبقوات الحدود في أوروبا. [٣]

فتربع السلطان سليم الأول على العرش العثماني في عام ٩١٨ ه وقد أظهر سليم منذ بداية حكمه ميلا إلى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائه [٤] كما كان عليه بعد اعتلائه العرش، تثبيت أقدامه في الحكم والتفاهم مع الدول الأوروبية الفاعلة ليتفرغ لأخطر أزمة وأجهتها الدولة منذ أعقاب معركة أنقرة ألا وهي القضية الإيرانية، وبخاصة أن النزاعات الأسرية كانت لا تزال ناشطة، فأخذ يعمل على تنحية أخيه الأكبر أحمد، الذي لا يزال يدعي حق ولاية العرش، بعد أن عينه والده خليفة له قبل أنيتنازل عن الحكم، وأيده أعيان الدولة ،فعين ابنه سليمان حاكما على إستانبول وخرج على رأس جيش جرار إلى منطقة آسيا الصغرى لمحاربة أخيه أحمد وابنه علاء الدين الذي كان قد استولى على مدينة بورصة ،ووضع حد لطموحاتهما السياسية. [٥]

فافتقد أثر أخيه إلى أنقرة إلا أنه لم يتمكن من القبض عليه لأنه هرب إلى أماسيا، ولما لحق به سليم هرب إلى ملطية وأرسل إلى ابنه الآخر مراد إلى تبريز لطلب المساعدة من الشاه إسماعيل الصفوي، الذي كان يتحين الفرص للقبض على الدولة العثمانية [٦] ، وإن أحمد أخوا

[١] - هدى درويش: الإسلاميون وتركيا العلمانية (نموذج الإمام سليمان حلمي)، دار الأفاق العربية، القاهرة ،١٤١٨ه ، ١٩٩٨م، ض٣١ .

[٢] - محمود محمد الحويري: المصدر السابق، ص ٢٠٢

*- كركود: في بعض المراجع يذكر باسم كركود وفي مراجع أخرى قرقوط.

[٣] - محمود محمد الحويري، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

[٤] - علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ، ج١، مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٢٥١.

[٥] - محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت ،١٤٣٤ه- ٢٠١٣م، ص١٤٧.

[٦] -محمد سهيل طقوش: المصدر السابق، ص١٤٨.

المبحث الأول **لمحة عن شخصية سليم الأول**

سليم كان يخونه من خلال الباشا إبراهيم الذي يجمع أخباره وعند علمه قام بقتل الوزير عبرة لغيره وجزاءا له. [1]

قبض سليم الأول على خمسة من أولاد إخوته وقتلهم، وبعدما توجهبكل سرعة إلى صاروخان مقر أخيه كركود ففر منه إلى جبال وبعد البحث عليه وجده وقام بقتله عام م ١٥١٣.)[2](

بعد أن تأكد سليم الأول من سيطرته على الحكومة في خلال أشهر قليلة من اعتلائه العرش، كانت المشكلة الصعبة التي واجهته هي التخلص من إخوته بغرض تأمين الدولة ،لكنه حاول في البداية استرضائهم فسمح لأخيه قرقوط بالعودة إلى صارروخان) مانيسا(وأعطى لأخيه أحمد حكم قونية لكن أحمد أراد أكثر من ذلك، وأعلن نفسه سلطانا على الأناضول، ومما يشار إليه أن بعض أنصار أحمد أشاروا عليه بالحصول على المساعدة من الصفويين ضد سليم الأول، ولكن أحمد كان يبغض الشيعة بشدة.)[3](

وبعد اطمئنان سليم الأول على عرشه وعلى سلامة الجبهة الداخلية، عاد إلى أدرنة حيث عقد معاهدات مع البندقية والمجر و روسيا)[4](فاتحا بذلك عهدا جديدا من العلاقات السلمية مع أوربا لأنه أراد تركيز اهتمامه على الجبهة الشرقية لمواجهة الصفويين والمماليك)[5](وبما أن مطامعه كانت موجهة إلى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها إسماعيل شاه الشيعي فإنه فتح ولاية شيروان* وجعل مركزه مدينة تبريز **سنة ١٥٠١م، وبعدها فتح العراق العربي وبلاد خرسان وديار بكر*** سنة ١٥٠٨م وأرسل أحد قواده فأحتل مدينة بغداد وفي سنة١٥١٠م ضم إلى أملاكه بلاد فارس وأذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء نهر أمودار يا.)[6](

١- حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، المصدر السابق، ص٥٦.
٢- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص١٣٩.
٣- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص ٢٠٣،٢٠٤.
٤- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص١٣٩.
٥- محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت ،١٩٥٧م، ص١٠٣.

*-شيروان: تقع في المنطقة الشمالية الغربية من إيران المعادية للاتحاد السوفياتي.
**- تبريز: تقع في الشمال الغربي من إيران بالقرب من الحدود التركية.

[1] - المصدر نفسه، ص١٤٧.

***- اليوم هي ولاية من ولايات الأتراك وتقع إلى الشمال من الحدود السورية وفي القديم كانت تطلق على منطقة واسعة مركزها ديار بكر.

[٦]- محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص١٢٠.

رابعاً : وفاة السلطان سليم.

في التاسع من شوال سنة ست وعشرين، ليلة السبت توفي السلطان سليم الأول رحمة الله عليه وأخفى طبيبه الخاص خبر وفاته عن الحاشية ولم يبلغه إلا للوزراء فاجتمع كل من بير محمد باشا و أحمد باشا ومصطفى باشا، وقرروا إخفاء هذا الأمر حتى يحضر الأمير سليمان من إقليم صاروخان خوفا من أن تثور الانكشارية كما هي عادتهم عند تولي كل سلطان فأرسل إلى سليمان خبر موت أبيه.(١)

فلما وصل إلى القسطنطينية أعلنوا موت السلطان سليم وصلوا عليه في جامع السلطان محمد ودفنوه في محل قبره وأمر السلطان سليمان خان ببناء جامع عظيم وعمارة لإطعام الفقراء صدقة على والده.(٢)

توفي رحمة الله تعالى عليه وله من العمر أربع وخمسون سنة وكانت مدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر.(٣)

١ - محمود محمد الحويري: مصر في العصور الوسطى،)من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني ، المكتب المصري، القاهرة ٢٠٠٢ م ،ص٢٢٠.

٢ - علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص٢٨٠.

٣ - إبراهيم حسنين، المرجع السابق، ص٢٤١.

المبحث الثاني

الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

المبحث الثاني:الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

أولاً : أسباب توجه سليم الأول إلى المشرق العربي.

كانت الدولة العثمانية بحلول القرن السادس عشر تمتد أراضيها من بودا(عاصمة المجر) إلى البصرة جنوبا، ومن بحر القزوين شرقا إلى البحر المتوسط غربا.[١]

فعندما ارتقى السلطان سليم الأول العرش العثماني، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مفترق الطرق[٢]، فحدث تحولان عظيمان كان لهما أثر عميق في تطور الدولة العثمانية والمجتمع العثماني، الأول هو ظهور قوة جديدة في إيران هي سلالة الصفويين* الشيعة ،والثاني ضم العثمانيين للبلاد العربية.

فالواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييرا جذريا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية ،فقد توقف في عهده الزحف العثماني نحو الغرب الأوروبي وكاد أن يتوقف حيث اتجهت الدولة العثمانية نحو المشرق الإسلامي، وقد ذكر البعض من المؤرخين الأسباب التي أدت إلى تغيير السياسة العثمانية منها: [٣]

١- « جاء في مقدمتها التشبع العثماني في أوروبا، إذ يرى أصحاب هذا الرأي أن الدولةالعثمانية كانت قد ذبلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع، وهذا الرأي يخالفه الصواب لأن الفتوحات العثمانية لم تنقطع من الجبهة الغربية، ولكن لا ريب في أن مركزالثقل في التوسع العثماني قد انتقل نهائيا من الغرب إلى الشرق، ليس بسبب التشبع كما تقول بعض المصادر غير المدركة للواقع».[٤]

٢- وعلل البعض الأخر تحرك الدولة العثمانية نحو المشرق من أجل إنقاذ العالم الإسلامي بصورة عامة والمقدسات الإسلامية بصورة خاصة من التحرك الصليبي الجديد من جانب الاسبان في البحر المتوسط والبرتغاليون في المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر، الذين أخذوا يطوقون العالم الإسلامي، ويفرضون حصارا اقتصاديا حتى يسهل عليهم إقلاعه.[٥]

[١] - محمد عادل عبد العزيز: انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه على مصر، دار غريب، القاهرة ،٢٠٠٧م، ص٨٢.

[٢] - محمد علي الصلابي: المصدر السابق، ص٢٥١.

*-الصفويين: أصل هذه السلالة من أذربيجان، وتنتسب إلى الشيخ صفي الدين، ومن اسمه أخذت السلالة اسمها، أنظر: محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٣٢ ،١٣٣.

[٣] - محمد علي الصلابي، المصدر السابق، ص٢٥٢.

[٤] - المصدر نفسه، ص٢٥٢.

[٥] - أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول ،١٩٩٩م، ص١٩٢.

٣- كما دفعت سياسة الدولة الصفوية في إيران والمتعلقة بمحاولة بسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغري، هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى التوجه نحو المشرق العربي لحماية آسيا الصغرى بصفة خاصة والعالم السني بصفة خاصة والعالم السني بصفة عامة.[١] ومن حيث الاعتبارات السياسية، فقد كان الأناضول التركي امتدادا طبيعيا للأراضي الإيرانية وأراضي آسيا الوسطى باعتبار أن العنصر التركي ذو الأصول الأسيوية قد سيطر في وقت من الأوقات على مجمل الأراضي من آسيا الوسطى حتى البحر الأبيض المتوسط و أقام دولة واسعة في هذه المناطق، وقد شكل قيام الدولة الصفوية في إيران حاجزا سياسيا قطع الاتصال بين العثمانيين وبين أصولهم الشرقية على الرغم من أن الشاه ظل يمثل آنذاك عالما تركيا آخر لكن باتجاهات مذهبية و اجتماعية مختلفة عن العالم التركي العثماني، أما من حيث الاعتبارات الفكرية، ففي الحكم والإدارة، وفي الأدب والفنون ظل السلاجقة* والعثمانيون من بعدهم يعتمدون اعتمادا كبيرا على المهاجرين من الشرق للقيام بشغل الإدارة وحكومتها، ومنذ إنشاء الدولة الصفوية في إيران عام ١٥٠٢م انقطعت تركيا عن إيران وآسيا الوسطى اللتين أسهمتا في تطورها ونموها الثقافي إلى حد كبير.[٢]

وكان التنافس على زعامة العالم الإسلامي قد بلغ آنذاك أشده بين القوى الإسلامية الثلاث العثمانيين والمماليك والصفويين، مما دفع العثمانيين إلى الاصطدام بالصفويين من جهة ومن جهة أخرى اصطدموا بالمماليك.[٣]

فقد برز العثمانيون كقوة إسلامية فتية وكأنهم جاء والاستجابة لنداء تاريخي، لضرورة زمنية اقتضت ظهورهم لحماية الأرض والأمة الإسلامية من هجوم غربي صليبي استعماري شامل، كان يعد العدة لاكتساح عالم الإسلام مستغلا ضعف قياداته ودولته وتمزقها وعدم امتلاكها القدرات المادية والروحية والبشرية للرد على التحدي الغربي.[٤]

فإن سياسة الدولة العثمانية في زمن السلطان سليم الأول سارت على هذا الأساس وجعلته يتجه نحو المشرق العربي للقضاء على الدولة الصفوية الشيعية، وضم دولة المماليك ،وحماية الأراضي المقدسة وملاحقة الأساطيل البرتغالية ودعم حركة الجهاد البحري في الشمال الأفريقي للقضاء على الإسبان ومواصلة الدولة جهادها في شرق أوربا.[٥]

\

[١] - عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي ، الدار العربية للعلوم، بيروت ،١٤٢٦ه-٢٠٠٦ م، ص٨٨.
[٢] - عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص٨٩.
[٣] - محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٣٥، ١٤٨.
[٤] - عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص٩٢.
[٥] - محمد علي الصلابي، المصدر السابق، ص٢٥٢.

المبحث الثاني:الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

ثانياً : الصراع العثماني الصفوي.

يعد نسب الصفويين إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي(٧٣٥-٦٥٠هـ/١٢٥٢-١٣٣٤م) الجد الأكبر للشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية.[١] كان من المتصوفة الزاهدين وكان شافعي المذهب، ولم يدع أنه ينسب إلى آل البيت رضوان الله عليهم ولكن الكتب التي دونت في عهد الشاه إسماعيل وضعت له نسبا إلى الإمام موسى الكاظم الإمام السابع للشيعة الجعفرية أي إلى الحسين بنعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ويعتز الفرس بالدولة الصفوية اعتزازا كبيرا باعتبار أنها حققت حلمهم في الوحدة والسيادة القومية حيث أنه في عصر الصفويين حولت فارس إلى الدولة كل ما فيها تركي ،كما كانت التركية لغة دواوينهم ومجالسهم.[٢]()

أسس الشيخ صفي الدين الدولة الصفوية في إيران في النصف الثاني من القرن ١٥ م وعندما تولى إسماعيل شاه السلطة)١٥٠٢م-١٥٢٤م(وحد إيران وأقام دولة قوامها القوة العسكرية والمذهب الشيعي.)[٣](وجعل مدينة تبريز عاصمة لها، حاول الصفويين مد نشاطهم المذهبي والعسكري في آسيا الصغرى فشعر المسؤولون في استنبول بعظم الخطر الجديد و أدى ذلك إلى وقوع الصراع بين الطرفين أو الدولتين لأسباب التالية)[٤]:

١- منافسة العثمانيين في منطقة الأناضول ومحاولة إثارة القلاقل.

٢- فرض إسماعيل شاه المذهب الشيعي على شعب وأعلنه مذهب رسميا للدولة في إيران.

٣- سعي الدولة الصفوية على نشر المذهب الشيعي خارج حدود إيران وهذا الأخير هو أكثر العوامل إثارة لحفيظة العثمانيين وعزمهم لوضع حد لطموحات هذه الدولة.

٤- تشجيع الدولة الصفوية بعض الأمراء العثمانيين على التمرد على الدولة العثمانية واستقبالها لهم.

[١] - علي محمد الصلابي: المصدر السابق، ص٢٥٣.

[٢] - زين العابدين شمس الدين: تاريخ الدولة العثمانية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ،٢٠١٠م، ص١٣٩.

[٣] - محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ،١٩٨٩م، ص ١٨_١٩

[٤] - الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ،١٢٨٨ ه ١٩١٦م، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،٢٠٠٦م، ص٥٦.

المبحث الثاني:الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

وما زاد الأمر حدة هو تبادل سليم الأول والشاه إسماعيل رسائل عنيفة مفعمة بالسباب، فلما عصى السلطان سليم وإخوته السلطان بايزيد الثاني)والدهم.(

ساعد إسماعيل شاه الأمير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده وقبل من فر من أولاده عنه وزيادة على ذلك أرسل وفدا إلى سلطان مصر يطلب منه التحالف لإيقاف[١] سير الدولة العثمانية متبينا له أنه إن لم يتفقا حاربت الدولة كلا منهما على حدته وقهرته وسلبت أملاكه ولإيجاد سبب للحرب أمر السلطان سليم بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتخاصمة لبلاد العجم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعا.[٢]

وبدأ سليم بتجهيز جيشه وكان واحدا من أقوى جيوش عصره من حيث عدد الجنود وتوعية الأسلحة النارية وكذلك من حيث كفاءة من يستخدمونها، أما قوات الشاه، فهم تضم وحدات فرسان أقل عددا، لكنها فعالة بشكل رهيب، وإن كانت بلا مدافع ولا بنادق[٣]، وفي ١٥١٤سار الجيش العثماني تحت قيادة سليم الأول قاصدا مدينة تبريز وقد وقع القتال بين الجيشين في واد جالديران.[٤] في البداية نجح الشاه في كسر الجناح الأيسر لجيش العثمانيين المؤلف من عساكر الروملي، فطلب الصدرالأعظم من السلطان بإطلاق المدفعية، فقال له السلطان[٥]« لقد أقسمت على عدم إطلاقها فقال الصدر الأعظم – أنت أقسمت لكني لم أقسم تم أمر بإطلاق المدفعية على جيش الصفويين، حيث قتل وتفرق أغلب قادة وجيش الفزلباشية ووقع الكثير منهم في الأسر وظل الشاه إسماعيل يعدوا في ميدان المعركة بفرسه يحاول جمع (شتات) شتات جيشه واستطاع إنقاض بعضهم».

ولقد بددت المدفعية العثمانية شمل الجيش الصفوي وقام العثمانيون يسيطر على المعركة واستطاعوا الوصول إلى المعسكر الصفوي، حين يئس الشاه إسماعيل من المعركة توجه إلى مدينة درجزين في الطريق إلى تبريز.

وبهذا انتصر سليم على الشاه إسماعيل الصفوي في معركة تشالديران

[١] - محمود محمد الحويري: (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) المصدر السابق، ص ٢٠٤،٢٠٥.

[٢] - المصدر نفسه، ص٢٠٥.

[٣] - محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،٢٠١٢م، ص١٠٣.

[٤] - المصدر نفسه، ص١٠٤.

[٥] - شوقي أبوخليل: سليم الأول العثماني وإسماعيل الصفوي ، دار الفكر، دمشق ،١٤٢٦ه-٢٠٠٥، ص ٥٩ ، ٦٣.

- نتائج معركة تشالديران:

تترتب عن المعركة نتائج عدة أهمها.[١]:

١- أسفرت المعركة عن سيطرة العثمانيين على الأناضول الشرقية والجنوبية باستثناء القسم الواقع تحت السيطرة المملوكية وأخذ الأمراء الأكراد السنيون، الذين كانوا تحت الحكم الشيعي، ينضمون إلى العثمانيين.

٢- خمود المشكلة الصفوية مدة عشرين عاما تقريبا، ذلك أن الضربة التي تلقتها هذه الدولة الصفوية لم تكن قاضية وتعذر على العثمانيين أن يسقطوا الحكم الصفوي.

٣- إن نتائج تشالديران كانت مخيبة لأمال الانكشارية الذين اقترحوا على السلطان سليم الأول، بعد المعركة أن يقضوا الشتاء في كراباغ بفعل الحالة الصعبة التي كان يمر بها[٢] شعور الدولة العثمانية بضرورة القضاء على القوة الثانية ألا وهي دولة المماليك [٣]

ثالثاً : أسباب الصراع العثماني المملوكي:

بعد أن رأى السلطان(سليم الأول) دولته قد أصبحت أقوى دولة إسلامية أنداك لذا عليه أن يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه في توحيد أبناء الأمة المسلمة، ورأى أن الأندلس قد سقطت على يد الأنصار الأسبان، ولم تعد هناك فائدة للضغط على أوربا من جهة الشرق للتخفيف عن المسلمين في الغرب.

ورأى أن أوربا النصرانيين لا يمكن مواجهتها إلا بالمسلمين كافة، لذا يجب أن يخضع المسلمون لدولة واحدة، ولا شك أن يفكر في أن هذا الخضوع يجب أن يكون للعثمانيين بصفة دولتهم أقوى الدول الإسلامية القائمة أنداك، ورأى أن دولة المماليك قد ضعف أمرهاولم تتمكن من

[١] - شوقي أبوخليل، المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٣.
[٢] - محمد سهيل طقوش: المصدر السابق، ص١٠٩.
[٣] - محمد علي الصلابي: المصدر السابق، ص ٢٦١.

المبحث الثاني:الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

تأدية دورها في مواجهة البرتغال.[1]كانت العلاقة العثمانية المملوكية جيدة في بداية الأمر وكثيرا ما تبادل حكام البلدين الهدايا في المناسبات، كما أن المماليك يحتضون عندما ينتصر العثمانيون على أوربا ولكن العلاقات بينهما كانت تسوء أحيانا، فقد تنازع الطرقان حينما استولى المماليك على فرص عام ١٤٨٥م.[2]

بعد سنة من هزيمة الصفويين صمم سليم الأول على مهاجمة المماليك متعذرا أسباب منها:

١- الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمال الشام، فقد تأثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك وكان هذا التأرجح مبعث اضطرابات في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر، وأراد السلطان سليم أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة تماما على منطقتها وسكانها.

٢- إن السلطان قانصوه الغورى (٩٠٧ –٩٦٦هـ) (١٥٠١- ١٥١٤م) سلطان دورة المماليك أولى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه سليم الأول وعلى رأسهم الأمير أحمد أخ السلطان سليم وأراد الغوري أن يتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديه أداة لإثارة مزيد من المتاعب في وجه سليم.

٣- السياسة التي اتبعها السلطان الغوري أثناء الحرب التي قامت بين السلطان سليم وبين الشاه إسماعيل الصفوي، فقد وقف الغوري موقفا غير ودي مع العثمانيون دون أن يفيد هذا الموقف الشاه إسماعيل على الاطلاق فهو لم يلتزم الحيدة التامة بين العثمانيين والصفويين وهو لم يتخذ موقفا عدائيا صريحا من السلطان سليم.

ولهذه الأسباب لم تلبث ان اشتعلت الحرب بين الدولتين العثمانية والمملوكية واستطاع العثمانيون انزال هزيمة ساحقة بالجيش المملوكي مرج دابق شمال حلب [3] وكان خيار المواجهة هو رأي سليم لأن انتصارهم على المماليك انهاء لحالة الجمود القائم بين المماليك والعثمانيين[4] وزحف الجيش المملوكي ليقاتل الجيش العثماني في مرج دابق القرية القريبة من حلب ١٥١٨ و زحف سليم هو الآخر مع جيشه وكان مكونا من انكشارية و سباهية (فرسان)

[1] - محمد خير فلاح: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد ، ص٤٤.

[2] - محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب: المصدر السابق، ص٢٣.

[3] - عمر عبد العزيز عمر: الشرق العربي المعاصر، الإسكندرية ،١٩٩٠م، ص ٢٥،٢٦.

[4] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مرا: محمود الأنصاري، م١، مؤسسة فيصل للتمويل ،إستانبول ،١٩٨٨م، ص ٢٢١ .

المبحث الثاني:الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي

مخلصين بقوة للسلطان العثماني وكان من أحسن جيوش العالم وأصبح على مقربة من معسكر جيش المماليك بقيادة الغوري[١] وانتهت هذه المواجهة بهزيمة المماليك وسقط الغوري صريعا من على حصانه من صدمة الهزيمة.[٢]

ولما رأى عمق الهزيمة التي انزلها بالمماليك وسع نطاق الحرب وتساقطت تباعا في يده وفي غير عناء المدن الكبرى في الشام وحلب وحماد وحمص ودمشق التي أقام بها قرابة شهرين تسابق خلالهما الأمراء والأعيان إلى السلطان يعلنون ولاءهم للحكم الجديد.

وتشجع سليم الأول على غزو مصر بعد غزو الشام وواصل زحفه جنوبا حتى بلغ مصر ،وكان الأمراء المماليك في مصر قد اختاروا طومان باي سلطانا للدولة المملوكية، واستعد لمواصلة الكفاح، والتحم الجيشان العثماني المملوكي في موقعة الريدانية في٢٣ يناير٩٢٣ه واشترك فيها السلطان سليم وطومان باي وكانت الخسائر من الجانبين فادحة[٣]،هنا فر طومان باي إلى أحد المشايخ الأعراب واسمه حسن ابن مرعي طالبا حمايته، لكن الشيخ سلمه إلى العثمانيين، فرح سليم وصاح « الآن ملكنا مصر» وتجمع المراجع على شجاعةطومان باي عندما وقف بين يدي السلطان العثماني حيث عاتبه لأنه لم يطع أوامره ،رد طومان باي «الأنفس التي تربت في العز لا تقبل الذل، وهل سمعت أن الأسد يخضع للذئب» [٤] وهكذا حتى سبق طومان باي إلى باب زويلا حيث شق سنة (٩٢٣هـ ٢٣ أبريل ١٥١٧م).[٥]

[١] - عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٩٠.

[٢] - المصدر نفسه، ص٦٢.

[٣] - إسماعيل أحمد ياغي: المصدر السابق، ص٣٠.

[٤] - سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، لبنان، ص ٢٨١.

[٥] - إسماعيل أحمد ياغي: المصدر السابق، ص ٦١.

المبحث الثالث

الضم العثماني لبلاد المشرق العربي

اولاً: الضم العثماني لبلاد الشام معركة مرج دابق ١٥١٦.

أصبحت الإمبراطورية العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر من قوى العالم الكبرى، فأخذ السلاطين العثمانيون يتطلعون نحو الشرق العربي الإسلامي.[١]

وفي هذا الصدد قام الكثير من المؤرخين بمناقشة الدوافع الحقيقية التي أدت إلى الفتح العثماني للمشرق العربي، فإن رأي هولت أن مجريات الأحداث فرضت على السلطان سليم الأول غزو مصر أكثر مما فرضت عليه بأن يعمد إلى التخطيط لها كخطوة في بناء الإمبراطورية، ويدعم هذا الرأي المؤرخ أرنولد توينبي فإنه يرجع دوافع الفتح العثماني للشرق العربي هو ظهور قوة الصفويين في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، كما يرى فريق آخر من المؤرخين أن خروج العثمانيين إلى المناطق هدفه حماية الشرق الأدنى الإسلامي من الخطر البرتغالي، وكذلك قال البعض الآخر أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر البحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع، وفي نهاية المطاف أجمع أغلب المؤرخين على أن هذه العوامل جميعها مسؤولة مسؤولية مشتركة عن الاتجاه الشرقي للدولة العثمانية.[٢]

أعد السلطان الغوري جيشه وغادر به القاهرة إلى دمشق فدخلها في جمادي الأول ٩٢٢ه سنة ١٥١٦م[٣]، فقام السلطان قانصوه بتعبئة قواته، وبدأ بالزحف عبر بلاد الشام تاركا" طومان باي " أحد القادة الكبار نائبا عنه في القاهرة خلال غيابه.[٤]

غادر السلطان قانصوه القاهرة في ١٨ ماي ١٥١٦م وجاء إلى سوريا لغرض التفتيش ،وكان يصاحبه الخليفة المتوكل وقضاه للمذاهب السنية الأربعة[٥]، وفي جوان وصل غزة وقضى بها خمسة أيام، ثم رحل بعد ذلك إلى دمشق فمكث بها تسعة أيام، ثم توجه بعدها إلى حمص، فحماه حتى وصل حلب في أوائل حزيران وجعل منها قاعدته الأمامية، وصلت أنباء تحركات الجيش المملوكي إلى القائد العثماني " سنان باشا " الذي كان معسكرا في ألبسنان التركمانية_ (ذي القادر التركمانية) فأرسل بذلك إلى السلطان سليم لإتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة لهذه التهديدات، فقام السلطان بالانضمام إلى قائده سنان باشا على رأس حملة كبيرة.[٦]

وكان أمام العثمانيين خياران التجاهل أوالمواجهة فاختاروا الخيار الثاني لأن في انتصارهم على المماليك إنهاء لحالة الجمود القائمة بين المماليك والعثمانيين .

[١] - إبراهيم رزقانة: الجغرافية الإقليمية للعالم العربي الإسلامي (العالم الإسلامي غير العربي)، دار النهضة العربية ،القاهرة، ص١٦.

[٢] - موسى موسى نصر، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، مكتبة الأسرة، الإسكندرية، ص١١.

[٣] - عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٨٩.

[٤] - الغالي غربي، المصدر السابق، ص٧٩.

[٥] - يلماز أوزتونا: المصدر السابق، ص٢٢٠.

[٦] - المصدر نفسه، ص٢٢١.

قرر السلطان سليم الأول تكسير حالة الجمود القائم بين العثمانيين والصفويين بحسم أصر المماليك، هذا عن الجانب العثماني أما عن الجانب المملوكي، فإن السلطان الغوري لم يرى مفرا من القتال خاصة وأن قواته ليست بعيدة عن موقع تمركز الجيش العثماني لهذا أصر جيشه بالخروج من مدينة حلب والاستعداد للمواجهة المفروضة عليه.[١]

لم ينته السلطان سليم الأول من محاربة الشيعة وفتح ديار بكر والموصل حتى أخذ يستعد لفتح سلطنة مصر لأن سلطانها " قانصوه الغوري " كان قد تحالفا مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية، ولما علم السلطان أي سلطان مصر بتأهب السلطان العثماني لمحاربته أرسل إليه رسولا يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين المعجم لإبرام الصلح، فلم يقبل بل طرد الرسول وأهانه.[٢]

مهدت الرسائل التي أرسلها السلطان سليم الأول إلى قانصوه الغوري لإقامة الأمراء علاقات مع العثمانيين ومن هؤلاء الأمراء خيري بك أمير أمراء حلب المملوكي، الذي توطأ سرا مع العثمانيين قبل معركة مرجع دابق، وقدم معلومات مهمة عن الأحوال السياسية والعسكرية والإدارية والمالية للدولة المملوكية إلى العثمانيين.[٣]

كان قاصوه الغوري يعلم برغبة سليم الأول الشديدة في دخولالبلاد الشامية، فقصد قانصوه حلب متظاهرا بالرغبة في إصلاح الأمور بين سليم وإسماعيل، لكن سليم الأول لكثرة جواسيسه بين المماليك، سار إلى بلاد الشام لتأديب قانصوه.[٤]

في الوقت الذي كان فيه السلطان الغوري يجهز استعداداته لمواجهة العثمانيين وصلت رسالة من خيري بك نائب حلب تطمئن السلطان من ناحية العثمانيين، وأن سليم الأول لا يرغب في قتاله وقد تبين بعد ذلك أن خيري بك كان يخون سلطانه وبلاده لحساب العثمانيين وقد بعث بتلك الرسالة ليهدئ أعصاب سيده، ويصرفه عن الاستعداد للحرب.

أتم السلطان الغوري استعداداته وحشد جيوشه في الريدانية - شمالي القاهرة بيت المطرية والجبل الأحمر- استعدادا للخروج إلى الشام تحسبا لأية مفاجآت قد تصدر عن العثمانيين ،وفي أثناء وجوده بالريدانية وصلته رسالة أخرى من خيري بك ومع تلك الرسالة رسالة أخرى من السلطان سليم موجهة إلى السلطان الغوري مليئة بالألفاظ الرقيقة والتواضع ،ويقول فيها السلطان سليم " أنت والدي وأسألك الدعاء"، ويعلق ابن إياس على رسالة السلطان العثماني

[١] -الغالي غربي، المصدر السابق، ص٦٠.

[٢] - محمد الطاهر سحري: مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج١، مطبعة المعارف، الجزائر ،٢٠٠٨ ص١٢٣.

[٣] - محمد الطاهر سحري، المصدر السابق، ص١٢٤.

[٤] - محمود محمد الحوري: مصر في العصور الوسطى (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) ، المصدر السابق ،ص٢٨١.

بقوله: " وكان هذا كله حيلا وخداعا من ابن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده، وقد ظهرت حقيقة ذلك فيما بعد."[1]

أما السلطان قانصوه وضعه سيئا على الرغم من أنه كان يرى أنه لا مفر من القتال ،وتمثل هذا الوضع بتخلي السكان المحليين عن المماليك وعدم مساعدتهم، بل أكثر من ذلك استعدادهم للثأر نتيجة الدعاية العثمانية التي وعدتهم بإرساء قواعد العدل، هذا فضلا عن وجود الانقسامات بين القادة الكبار في جيش المماليك(خيري بك حاكم حلب، جانبري الغزالي حاكم دمشق، وفخر الدين المعني حاكم لبنان) واستعدادهم للتخلص من قانصوه الغوري في سبيل المحافظة على مراكزهم.[2]

وزحف الجيش المملوكي ليقاتل الجيش العثماني في مرج دابق القريبة من حلب)١٥١٦م(أما الطرف الآخر العثماني كانت مصادر قوته العسكرية في نمو طيلةالقرنين الرابع عشر والخامس عشر،حيث كان مكونا من انكشارية وسباهية) فرسان(مخلصين بقوة للسلطان العثماني، وكان هذا الجيش من أحسن جيوشه العالم حينذاك و زحف به السلطان سليم الأول حتى نزل على مقربة من حلب) ١٥١٦م(وأصبح على مقربة من معسكر جيش المماليك بقيادة الغوري.)[3]

في ٢٠رجب ٩٢٢ه) ١٩ أوت ١٥١٦م(تحرك قانصوه الغوري على رأس جيوشه لملاقاة سليم الأول)[4]، وفي اليوم التالي وقف المماليك الجراكسة العثمانيون وجها لوجه في سهل مرج دابق، وهناك أشاعقانصوه الغوري أن جيش العدو يضم في صفوه المسيحيين وأرمن وشعوب أخرى بغيضة، وكان قانصوه يهدف بذلك إثارة الكراهية ضد العثمانيين بين صفوف جنده والشاميين المرافقين له، فضلا عن إعطاء تأثير مفاده أن الحرب بينه وبين سليم الأول حرب مقدسة يخوضها المسلمون ضد المسيحيين.)[5]

وفي يوم٢٥ رجب عام ٩٢٢ هجري) ٢٤ أوت ١٥١٦م(استعد العثمانيون لخضوع معركة تعتبر واحدة من أهم المعارك التي خاضوها في تاريخهم)[6]، ذلك أنهم لو حققوا انتصارا على المماليك، سيرفعون أيديهم عن حراسة الجزء الجنوبي الشرقي في آسيا الصغرى بالإضافة إلى أن انتصارهم سيمنحهم عالية في بقية البلاد الإسلامية الأخرى.

[1] - المصدر نفسه، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

[2] - يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، تر: أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ،١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، ص٣٧٠.

[3] - عبد العزيز سليمان نوار، المصدرالسابق، ص٩٠.

[4] - مؤلف مجهول: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية،ج٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٥م، ص١٠٦.

[5] - ابن زنبل الهمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، إش: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٢٢ .

[6] - فؤاد السيد، حسن حيدر: أعظم أحداث العالم من تاريخ ما قبل الميلاد حتى نهاية ٢٠٠٣م ،دار المناهل، بيروت ، ١٤٢٥ه ،٢٠٠٤م، ص١٠٠ .

وأخذ السلطان الغوري يرتب عسكره بنفسه، فكان مكانه في القلب وحوله أربعون مصحفا شرفيا في أكياس من الحرير الأصفر يحملها جماعة من الأشراف، ومن حوله جماعة من الصوفية والأشراف ومعهم أعلامهم، وتولى قيادة ميمنة الجيش سيباي نائب الشام والميسرة خيري بك نائب حلب.[١]

لكن هزم الغوري بسبب وقوع الخلاف بين فرق جيشه المؤلف من المماليك وساعدت المدافع العثمانية على النصر وقتل الغوري اثناء انهزام الجيش وعمره ثمانون سنة وكان ذلك يوم الاحد ٢٥رجب سنة (٩٢٢ه ٢٤ اوت ١٥١٦م.)[٢]

ودخل السلطان سليم حلب، ثم حصاه ودمشق، حيث التقى بالعلماء وأحسن إليهم بالعطاءات وأمر بترميم الجامع الأموي الذي تهدم بالزلازل، وفي دمشق لقب سليم بخادم الحرمين الشريفين، وكان هذا اللقب أول من لقب به هو السلطان قانصوه الغوري بعد تحصين جده ضد البرتغاليين.[٣]

بعد انتصار سليم الأول انتصارا كبيرا في مزج دابق عرض على طومان باي الذي تولى السلطنة بعد الغوري أن يعلن خضوعه للسلطنة العثمانية في مقابل أن يسند إليه السلطان سليم حكم مصر، ولكن طومان باي لم يقبل، واضطر السلطان سليم إلى أن ينقل الحرب إلى مصر.[٤]

انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق شمال غربي مدينة حلب السورية ،وأصبحت سوريا التي فتحت في ١٥١٦م مجموعة من الولايات العثمانية الخاضعة للحكم المركزي دون أن يتخللذلك فترة انتقالية يمتلك فيها السلطة حاكم تابع.[٥]

كما يفيد المؤرخ العربي الشهير ابن فضل الله العامري بأن السلاطين الأتراك كانوا يستندون إلى عنصر محارب قوي وقلاع صامدة وجبال شاهقة وهم أقوياء بأسلحتهم وعددهم[٦]، كما أن الأتراك حكموا سوريا في القرن السادس عشر حتى عام ١٩١٨م، سوى فترات قصيرة مثل فترة نابليون، وحكم محمد علي في القرن التاسع عشر.[٧]

[١] - محمود محمد الحويري، مصر في العصور الوسطى (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) المصدر السابق ،ص٢٨١.

[٢] - محمد فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص١٩٢.

[٣] - عدنان العطار، المصدر السابق، ص٥٨.

[٤] - عبد العزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص٩٢.

[٥] - ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي، مرا: عصر الأيوبي، دار المدار الإسلامي ،بيروت ،٢٠٠٨م، ص١٥١.

[٦] - يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المصدر السابق، ص٣٨٤.

[٧] - محمد صادق صبور: الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي ، دار الأمين، القاهرة ،١٤٢٧ه ،٢٠٠٦، ص٩٤.

-أسباب انتصار العثمانيين في معركة مرج دابق :

بعد أن ذهب السلطان الغوري بقواته عبر بلاد الشام نحو حلب سنة ٩٢٢ه/١٥١٦م ليقطع الطريق مع السلطان سليم الأول السائر لمحاربة الشاه الصفوي مرة أخرى، لكنه اصطدم مع جيش المماليك وهو في مرج دابق شمالي الشام[١]، وانتصر سليم في المعركة و يرجع السبب إلى:

- الجيوش العثمانية جيدة التسليح والتجهيز وطبقت الأساليب التكتيكية الحديثة.

- لجأت هذه الجيوش إلى تدعيم مواقعها بواسطة قلاع متحركة، تشكلت من عربات مربوطة بعضها بالبعض الآخر.

- وزع السلطان سليم قواته ومدفعيته بحيث تستطيع الاختباء خلف سلاسل من العربات المتصلة بعضها ببعض وخلف حواجز من الأشجار والأعشاب.

- امتازت المعدات المقاومة للخيالة، كالشوكات، والخطافات الحديدية المربوطة بالحبال ،بأهمية كبيرة في المعركة، إذ كان الجنود العثمانيون يطلقون هذه الأدوات على فرسان المماليك المدججين بالسلاح في سجون فرسانهم من على ظهور الخيل ويقتلونهم بالفأس أو بالسيف.

- ان العثمانيون يمتلكون أفضل مدفعية في العالم آنذاك واستخدموا أحسن أنواع المدفعية النحاسية المركبة على عجلات يجر الواحد منها زوج من الثيران، فيحين لم يعرف الجيش المملوكي مثلها.

- بالرغم من أن جنود الجيش العثماني كانوا ينتمون إلى قوميات مختلفة وطوائف دينية متعددة، إلا أن الجيش عرف بانضباطيته وتماسكه المعنوي على عكس الجيش المملوكي الذي تنازعه الإحجام. [٢]

[١] - شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٩٣م ،ص١٥٨٠.
[٢] - محمد سهيل طقوش: المصدر السابق، ص ١٥٥، ١٥٦.

- انسحاب بعض أمراء الشام من الجيش المملوكي وانضمامهم إلى الجيش العثماني عند بدء القتال أمثال خيري بك نائب حلب وجانبردي الغزالي مما أثر سلبا على قوة ومعنويات السلطان الغوري. [١]

- تراجع القاعدة الإسلامية للمماليك بفعل الانتفاضات الشعبية ضدهم في القرى والمدن الإسلامية، فالفرنجة في بلاد الشام كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لتحقيق أطماعهم في الاستيلاء على بيت المقدس،[٢]فعندما قرب أجل الملك فرديناند الكاثوليكي سنة ١٥١٦م أوصى أولاده قائلا: " عليكم أن تحملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية "، ويقصد بذلك استئصال المسلمين من جذورهم والقضاء على الإسلام.[٣]

ثانيا: الفتح العثماني لمصر- معركة الريدانية.

١- ضم مصر:

إن النصر الذي أحرزه العثمانيون في مرج دابق منحهم السيادة على الشام، وصلت أخبار الهزيمة إلى القاهرة في الرابع عشر من سبتمبر أيلول، أي بعد ثلاثة أسابيع من المعركة، فاجتمع من بقى على قيد الحياة من قادة المماليك في القاهرة لينتخبوا سلطانا جديدا واختاروا أن يولو نائب قنصوة الأشرف طومان باي خليفة له.[٤]

كتب سليم الأول رسالة إلى طومان باي من دمشق يعرض عليه فيها أحد خيارين أن يستسلم ويحكم مصر بصفته تابعا للعثمانيين[٥]، فلم يقبل بل استعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود، فالتقيت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك واحتل العثمانيون مدينة غزة على طريق مصر.[٦]

وبعد أن هزمت الحملة العسكرية التي أرسلها طومان باي Toman Bey بقيادة جان بري الغزالي للدفاع عنها وقد أثرت هذه الأنباء على معنويات المماليك بخاصة بعد ورد أنباء عن

[١] - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ص٧٦.
[٢] - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧.
[٣] - المصدر السابق، ص٧٧.
[٤] - يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي ، كلمات عربية للترجمة والنشر ٢٠١١م، ص٣٠.
[٥] - المصدر نفسه، ص٣١.
[٦] - فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص١٩٣.

مذبحة قام بها العثمانيون وقد كانت خطة طومان باي أن يتقدم للقاء الجيش العثماني قبل أن يصل إلى موارد المياه.[١]

٢-واقعة الريدانية ١٩١٦م-١٩١٧م.

استعد طومان باي و أبدى جهودا في تجهيز جيشه بشكل تام وقام بتحصين القاهرة[٢] لأنه استفاد من تجربة مرج دابق فألغى التقليد الفروسي الذي يقضي بحضر الأسلحة النارية ،و زود عددا كبيرا من جنده بالبنادق كما شكل صفا من مئة عربة تحمل مدافع خفيفة لمواجهة المهاجمين، غير أن جيش المماليك الذين لم يكونوا يحصلون على رواتبهم، ويفتقرون للثقة بالنفس ولا يمكن الاعتماد عليهم إلى حد كبير، واستقبل يوم المعركة بروج مجموعة من الرجال يحاربون من أجل النجاة بحياتهم لا من أجل النجاة بحياتهم لا من أجل إحراز النصر.[٣]

لقد التقى الطرفان في عام ١٩١٧م في الريدانيةRaydania لكن نتيجة المعركة كانت لمصالح الجيش العثماني وذلك أن العثمانيون هجموا على الجند المصريين من جهتين فرقة جاءت من تحت الجبل الأحمر والفرقة الأخرى جاءت للجنود المصريين عند الوطاق بالريدانية، وقذفوهم بالبنادق والرصاص وكان هجوم العثمانيين عنيفا فانهزم جيش طومان باي وبقي معه قليل من الجند الرماة[٤] والمماليك فلما ادرك طومان باي الا حيلة له في مواصلة القتال اسرع بالانسحاب من المعركة فهجم العثمانيون على الوطاق المصري واستولوا على جميع ما فيه من اقمشة واسلحة وخيول وجمال وابقار وعربات وغير ذلك .[٥]

ولقد كانت المواجهة حاسمة بين العثمانيين والمماليك في الريدانية حين لحقت بطومان باي هزيمة قاسية رغم انه حارب بشجاعة وجرأة، الا ان في الواقع هزيمة المماليك في الريدانية جاء نتيجة خيانة جان بردي الغزالي الذي قد اتصل بشريكه في الخيانة الأمير خايربك وأعلمه بخطة السلطان طومان باي.[٦]

دخل العثمانيون القاهرة ومعهم الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل على الله وجماعة القناة وأعلن سليم للناس الاطمئنان والبيع والشراء وخطب على منابر مصر والقاهرة وبعد أن تم الأمر للسلطان العثماني وفتح مصر والقاهرة.[٧]

[١] - الغالي غربي: المصدر السابق، ص٦٢.
[٢] - يلماز أوزتونا: المصدر السابق، ص٢٢٧.
[٣] - يوجين روجان: المصدر السابق، ص٣١.
[٤] - جرجي زيدان، المصدر السابق، ص٢٠٥.
[٥] - محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،٢٠٠٤م، ص ٨٨، ٨٩.
[٦]- محمد بن أحمد بن أياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥ ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ،١٤٠٤ه-١٩٨٤م، ص ١٤٤، ١٦٦.
[٧] - محمود السيد: المصدر السابق، ص٨٨، ٨٩.

ولما خضعت مصر للعثمانيين عام ١٥١٧م فإن حكمهم لم يكن إلا امتدادا لحكم وأنظمة المماليك مع بعض التعديلات ثم أضافوا الطابع التركي على الحياة.

المبحث الثالث: الضم العثماني للعراق- الحجاز و اليمن.

١- الضم العثماني للعراق:

بعد أن أخضع العثمانيون بلاد الشام ومصر أخذوا يتطلعون إلى إخضاع العراق فيجمعوا بذلك المشرق العربي تحت سيطرتهم ويحولون دون التوسع الصفوي في هذه المنطقة.[١] [٢]

ولقد بدأت عملية ضم العراق إلى الدولة العثمانية مبكرا إذ تعود إلى عقب انتصارهم على الصفويين في معركة جالديران ١٥١٤م فقد ضم السلطان سليم الأول المناطق الشمالية منه[٢]

لكن الوسط والجنوب فقد ظل تحت السيطرة الصفوية[٣]، حتى عهد السلطان سليمان القانوني الذي عهد إلى إبراهيم باشا الصدر الأعظم بقيادة الحملة التي غادرت استنبول في ٢ ربيع الثاني٩٤٠ ه-٢١ اكتوبر١٥٣٣م واتجه نحو ديار بكر، وجرت الاشتباكات بينه وبين الأمراء المحليين في مناطق الحدود وأعتبر كثيرون منهم بالسيادة العثمانية ثم انطلق إلى تبريز فاحتلها في ٠١ محرم ٩٤١ه/١٧ يوليو١٥٣٤م وقدم الأمراء المحليون خضوعهم.[٤]

ومكث بها الصدر الأعظم إبراهيم باشا لحين وصول السلطان سليمان ولم يلبث أن تقدم الجيش العثماني عبر شمال غربي فارس دون أن يلقى مقاومة من جانب الصفويين ثم وصل إلى سهل العراق عن طريق همدان وقد استطاعت قوات السلطان سليمان عنه ولم يرسل له أي هرم ففر إلى فارس وعلى إثر ذلك دخل العثمانيون بغداد بدون قتال.[٥]

- وقضى السلطان سليمان الشتاء في بغداد، ثم عاد إلى إستانبول مازا بتبريز بعد أن عين سليمان باشا الهجري واليا على بغداد وبذلك فرض العثمانيون سيطرتهم على وسط وشمال العراق، أما البصرة فكان حاكمها من مشايخ العرب يخضعون لحاكم بغداد بصرف النظر عن انتماءاته، فكان راشد بن مغامس حاكم البصرة خاضعا للشاه الصفوي، ثم أعلن ولاءه

[١] - الغالي غربي: المصدر السابق، ص٦٥ .
[٢] - زين العابدين بن شمس الدين نجم: المصدر ، ص١٦٩.
[٣] - المصدر نفسه، ص٦٦ .
[٤] - زين العابدين شمس الدين نجم: المصدر، ص١٧٠.
[٥] - حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب من الغزو العثماني إلى نهاية ح ع ١، كتاب الجامعة ،١٩٩٨م، ص٢٢ .

للسلطان العثماني بمجرد استلائه على بغداد، فأقره السلطان العماني لجنوب العراق ،وأصبحت العراق كلها خاضعة للعثمانيين.[١]

- وقد قسمت الدولة العثمانية العراق إلى أربع ولايات:

١- ولاية الموصل: وتشمل مدينة الموصل والجزء الشمالي الغربي من العراق وتمتد جنوبا إلى تكريت.

٢- ولاية شهرزور(كردستان)وتقع إلى الشرق من ولاية الموصل وكانت مدينة كركوك مركز هذه الولاية ولم تعمر طويلا، بعد أن ترك العثمانيون الحكم فيها للعصيات المحلية الكردية.

٣- ولاية بغداد: وكانت أقوى ولايات العراق وأهمها ولما كانت تتمتع به من مكانة عظيمة وشهرة فائقة بين مدن العالم الإسلامي منذ أن كانت عاصمة للخلافة العباسية وكانت تضم أكبر مركز ثقافي واقتصادي في العراق وكانت ولاية بغداد تتحمل مسؤولية الدفاع عن ولاية شهرزور و ولاية البصرة ضد أي أخطار تتعرضان لها.

٤- ولاية البصرة: وكان من الصعب تثبيت الحكم العثماني فيها بسبب تعرضها باستمرار للغازات الفارسية، ولهجات قبائل البدو الغربية فبعد الفتح العثماني للعراق بقليل، ثارت القبائل العربية في البصرة على الحكم العثماني وأنظم إليها حاكمها راشد بن مغامسة.[٢]

فأمر السلطان العثماني إياس باشا وإليه على بغداد أن يقود حملة تأديبية ضد قبائل الجنوب عام ١٥٤٦م، أطاحت الحملة بالتمرد وأكدت السيادة العثمانية على جنوب العراق، فيما فر راشد بن مغامس إلى الأحساء، وهي إقليم شبه مستقل يخضع لحاكم يتمتع باستقلال ذاتي ،لكنه يدفع ضريبة سنوية للدولة العثمانية حاولت الدولة الصفوية استعادة سيطرتها على العراق مرة أخرى سنة ١٦١٢م، لكن الدولة العثمانية تمكنت في عهد مراد الرابع من إعادة العراق تحت السيادة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى.[٣]

٢-الضم العثماني الحجاز واليمن:

أ-خضوع الحجاز:

بعد سقوط مصر في أيدي **الأتراك** العثمانيين امتداد سيادتهم إلى الحجاز امتدادا سليما ،فالحجاز بسبب الحماية التي توفرها مصر والعون الذي تمد به ،ممثلا في الأموال والغلال التي ترسلها

[١] - فضل الكريم يوسف الستر: الدولة العثمانية فيعهد السلطان سليم الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم ،٢٠١٢م ،ص ٢٦.

[٢] - حلمي محروس إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٣.

[٣] -حلمي محروس إسماعيل: المصدر السابق، ص٢٤.

لفقراء مكة والمدينة والمرتبات والهدايا للأشراف كان يتبع مصر تبعية تلقائية ،بمعنى أنه لم يكن يرتبط بدولة معينة في مصر، بل كان يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الحكومة أو الدولة القائمة فيها.

وكان يتولى حكم مكة المكرمة قلب الحجاز ومركز الأرض المقدسة الشرقيون أو الأشراف الحسنيون، الذين ينتمون إلى علي ابن أبي طالب زوج ابنة الرسول الله (ص)فاطمة الزهراء ولهذا يعد الحجاز في نظر الخليفة أي خليفة يسعى إلى الاستخلاف على العالم الإسلامي[١] أمرا حيويا لما للحجاز من مكانة خاصة في نفوس المسلمين ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الحجاز محط آمال السلطان سليم الأول مدركا تمام الإدراك أن ضمه البلاد المذكورة ستقوي مكانته في العالم الإسلامي خاصة بعد أن أصبحت دمشق تحت حكمه والقاهرة في قبضته ،وأصبح الخطباء يخطبون بإسمه على مناظر بغداد وتبريز[٢].

وقد كان الحجاز تابعا للمماليك وما إن وصلت أنباء مقتل الغوري و طومان باي إلى شريف مكة بركات بن محمد بركات(١٤٩٥م-١٥٢٤م) حتى بادر إلى تقديم الطاعة إلى السلطان سليم الأول في مصر، فأرسل إبنه أبو نمي [٣]والبالغ من العمر ثلاثة عشرة عاما في ١٥١٧م وسلمه مفاتيح الكعبة وبعض الآثار فأقر السلطان سليم شريف الحجاز بركات باعتباره أميرا على مكة والحجاز ،ومنحه صلاحيات واسعة.

وبذلك أصبح السلطان سليم خادما للحرمين الشريفين وأصبحت مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية ،وخاصة أن الدولة أوقفت أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة وكانت إراداتها تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني وقد أدى ضم الحجاز للعثمانيين إلى بسط السيادة العثمانية في البحر الأحمر مما أدى إلى دفع الخطر البرتغالي عن الحجاز والبحر الأحمر، واستمر هذا حتى نهاية القرن الثامن عشر.

ب- ضم اليمن:

ترتب عن الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧م وسط السيادة العثمانية على الحجاز، وهما اقليمان مطلان على البحر الأحمر وظهور العثمانيين في هذا البحر حيث ورثوا تركة الدولة المملوكية المثقلة بالمشكلات في مقدمتها مسألة دخول طريق التجارة العالمية من البحر الأحمر على رأس الرجاء الصالح، والانهيار الاقتصادي الذي حدث في المنطقة نتيجة هذا التحول والتفوق البرازيلي الساحق في منطقة الخليج العربي ومواجهة في خطر البرتغالي البحر الأحمر [٤]

[١] - إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ١٤١٨ه-١٩٩٧ م ، مكتبة العبيكان، الرياض، ص٣٢.

[٢] - عبد المنعم الهاشمي: الخلافة العثمانية، ط١، دار ابن حزم، بيروت ،١٤٢٥ه-٢٠٠٤م، ص٢٧٠.

[٣] - عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط١، الأهلية، بيروت ،٢٠٠٨م ،ص٤٠٤.

[٤] - إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، ١٤١٨م - ١٩٩١ ص٧٥.

(عندما انهار النظام المملوكي في مصر [١] وضعف سلاطين المماليك الجراكسة الذين عرفوا البرجية وحكموا مصر من سنة ١٣٨٢م إلى ١٥١٧م [٢].

أرسل إسكندر الجركسي حاكم اليمن المملوكي وفدا إلى السلطان سليم ليقدم فروض الولاء والطاعة له، فوافق السلطان العثماني على إبقائه في منصبه[٣] .

ولكن السيطرة العثمانية على اليمن كانت ضعيفة ويعود ذلك إلى الصراعات الداخلية بين القادة المماليك إلى جانب ازدياد نفوذ الإمامة الزيدية بين قبائل الجبال، هذا فضلا عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية، وهذا دفع السلطان إلى إرسال قوة بحرية إلا أنها فشلت بسبب النزاع الذي دب بين قائدها حسين الرومي متصرف جدة، والريس سلمان أحد قادة البحر العثمانيين، لكن اليمن هي مفتاح البحر الأحمر وهي بالتالي التي تضمن سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز والسيطرة عليها للتحكم في البحر الأحمروالعربي[٤] ولم يكن باستطاعة العثمانيين السيطرة على اليمن إلا في عام ١٥٣٨م أي بعد نحو عشرين عاما من دخولهم مصر.[٥]

رابعاً : انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق العربي وآثارها.

قام سليم الأول خلال ثمانية سنوات بأعمال لا يستوعبها العقل، وجعل من الإمبراطورية العثمانية دولة عالمية حقيقية كبرى) ١٥١٧(وحافظت الدولة العثمانية على فتوحاته مدة أربعة قرون، فترك دولة مخيفة لأعدائها تمتد بين فاس وحضر صون، سودان وروسيا كان هدفه أن يحقق في إيران ما حققه صلاح الدين الأيوبي في مصر من حيث القضاء على الحكم الشيعي.[٦]

١ - أحمد حسين عبد الجابوري: القدس في العهد العثماني(١٥١٥ م-١٦٤٠م)، ج١ دار الحامد، عمان ،٢٠١١م، ص ٤٢.

٢ - أحمد محمود القومي: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (الإسلامية والمسلمون في مصر)، م٣، دار الكتاب العربية، القاهرة ،٢٠٠٨م، ص٤٨.

٣ - عيسى الحسن، المصدر السابق، ص٤٩٤ .

٤ -جميل بيضون : شحادة الناضور، علي عكاشة: تاريخ العرب الحديث، ، دار الأمل ،١٤١٢ه-١٩٩١م، د م، ص٤١.

٥ - أحمد النعيمي: تركيا والوطن العربي) ١٤٢٨ه ،١٩٩٨ م(، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس ،ص١٥.

٦ - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، ج١، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا ،١٤٠٨هـ -١٩٨٨ م، ص٢٣٧.

فالحقيقة أن السيطرة العثمانية في عهد سليم الأول على الجبهة الشرقية جاءت مترافقة مع محاور الخطوط الجغرافية ذات النقاط الاستراتيجية، وقد سيطر عليها السلطان العثماني بالتعاقب، وهي على النحو التالي:

أ- محاور ما بعد معركة تشالديران.

١- خط تبريز- أريقان- كراباغ- عام) ٩٢٠ه/١٥١٤م.)

٢- خط أصاسيا- كماخ- عام(٩٢١ه/١٥١٥م.)

٣- خط ديار بكر- ماردين – الموصل) شمال العراق(عام) ٩٢٢هـ /١٥١٩م.

ب- محاور ما بعد معركة مرج دابق.

١- خط حلب – دمشق – القدس – غزة – خان يونس (٩٢٢ه-١٥١٦م.)

- الريدانية – القاهرة – الإسكندرية (٩٢٣ه- ١٥١٧م.)[١]

كما كان للغزو العثماني للشرق العربي ووصولهم للبحار الشرقية عدة نتائج أهمها:

١- امتداد ممتلكات العثمانيين إلى أقاليم تقع على البحر الأحمر والخليج العربي والبحر العربي، مما أوجب عليهم إنقاذها من الخطر البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي ،وبذلك فرضت الحرب نفسها فرضا على العثمانيين ضد البرتغاليين.

٢- اكتسبت الدولة العثمانية صبغة عربية لم تكن لها من قبل، وأصبح العرب يكونون نسبة كبيرة من سكان الدولة العثمانية.

٣- تدعيم مركز الدولة العثمانية كدولة إسلامية، بعد ضم الأماكن الإسلامية المقدسة.[٢]

ملحق رقم)١(

١ - محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٣٥٤.

٢ - زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص١٧٤.

المماليك والصفويين [1]

[1] - هاني خيرو أبو غضيب: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر، المكتبة الجامعية ،٢٠٠٤، ص ٦٨.

- **ملحق رقم(٢)**

قانصوه الغوري

ملحق رقم ٠٣)

السلطان: سليم الأول[1]

ملحق رقم (٤)

[1] - شوقي أبوخليل: تشالديران) سليم الأول وإسماعيل الصفوي(، ط١، دار الفكر، دمشق ،١٤٢٦ه،٢٠٠٥، ص ٤٩، ٧٨.

صورةلمدينةتبريزاليوم[1]

١.
٢. إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا)، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان ،١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.
٣. إبراهيم حسنين: سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية ،٢٠١٤م.

٤. إبراهيم رزقانة: الجغرافية الإقليمية للعالم العربي الإسلامي (العالم الإسلامي غير العربي)،دار النهضة العربية، القاهرة

٥. ابن زنبل الهمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، إش: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨م.

٦. أحمد النعيمي: تركيا والوطن العربي(١٤٢٨ه- ١٩٩٨ م)، أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس.

٧. أحمد حسين عبد الجابوري: القدس في العهد العثماني(١٥١٥م-١٦٤٠م)، ج١، دار الحامد، عمان ،٢٠١١م.

٨. أحمد محمود القومي: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (الإسلامية والمسلمون في مصر)، م٣، دار الكتاب العربية، القاهرة ،٢٠٠٨م.

٩. إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديثة، مكتبة العبيكان ،الرياض ،١٤١٢ه-١٩٩٢م.

١٠. إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ١٤١٨ه-١٩٩٧ م ، مكتبة العبيكان، الرياض.

١١. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي ،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول ،١٩٩٩م.

١٢. ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، تر: حاتم الطحاوي، مرا: عصر الأيوبي، دار المدار الإسلامي، بيروت , ٢٠٠٨م.

١٣. جرجي زيدان: مصر العثمانيين، تح و درا وتع: محمد حرب، دار الآفاق العربية، القاهرة ،١٤٢٢ه-٢٠٠٢م.

١٤. جميل بيضون : شحادة الناضور، علي عكاشة: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل ،١٤١٢ه-١٩٩١م.

١٥. حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب من الغزو العثماني إلى نهاية ح ع ١، كتاب الجامعة ،١٩٩٨م.

١٦. زين العابدين شمس الدين: تاريخ الدولة العثمانية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ،٢٠١٠م.

١٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، لبنان.

١٨. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٩٣م.

١٩. شوقي أبوخليل: تشالديران (سليم الأول وإسماعيل الصفوي)، دار الفكر، دمشق ، ١٤٢٦ه،٢٠٠٥.

٢٠. عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢١. عبد المنعم الهاشمي: الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم، بيروت ،١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

٢٢. عزتلو يوسف بك أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتها حتى الآن ، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ،٢٠١٤م.

٢٣. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ج١، مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٤. عماد الدين خليل: مدخل إلى التاريخ الإسلامي، الدار العربية للعلوم، بيروت ، ١٤٢٦ه-٢٠٠٦م.

عمر عبد العزيز عمر: الشرق العربي المعاصر، الإسكندرية ،١٩٩٠م.

٢٥. عيسى الحسن: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ،ط١، الأهلية، بيروت ،٢٠٠٨م.

٢٦. الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ،١٢٨٨ه-١٩١٦م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،٢٠٠٦م.

٢٧. فضل الكريم يوسف الستر: الدولة العثمانية فيعهد السلطان سليم الأول، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم ،٢٠١٢م.

٢٨. فؤاد السيد، حسن حيدر: أعظم أحداث العالم من تاريخ ما قبل الميلاد حتى نهاية ٢٠٠٣ م ، دار المناهل، بيروت ،١٤٢٥ه ،٢٠٠٤م.

٢٩. محمد الطاهر سحري: مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج١، مطبعة المعارف، الجزائر ،٢٠٠٨م.

٣٠. محمد بن أحمد بن أياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ،١٤٠٤ه،١٩٨٤م.

٣١. محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت , ١٩٥٧.

محمد خير فلاح: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد ،٢٠٠٥، د م، د س.

٣٢. محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت ،١٤٣٤ه-٢٠١٣م.

٣٣. محمد صادق صبور: الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي، دار الأمين ،القاهرة ،١٤٢٧ه ،٢٠٠٦م.

٣٤. محمد عادل عبد العزيز: انهيار الخلافة العثمانية وتوابعه على مصر، دار غريب ،القاهرة ،٢٠٠٧م.

٣٥. محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب ،تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ،١٩٨٩م.

٣٦. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،٢٠١٢م

٣٧. محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ٢٠٠٤م.

٣٨. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ط٤، المكتب الإسلامي ،بيروت،٢٠٠٠م.

٣٩. محمود علي عامر: الدولة العثمانية، نشأتها، قياسها، انهيارها،دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن ،١٤٣٧ ه-٢٠١٦.

٤٠. محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠٢م.

٤١. محمود محمد الحويري: مصر في العصور الوسطى، (من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني) ، المكتب المصري، القاهرة ،٢٠٠٢م.

٤٢. موسى موسى نصر، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، مكتبة الأسرة ،الإسكندرية.

٤٣. مؤلف مجهول: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية،ج٣ ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٥م.

٤٤. هاني خيرو أبو غضيب: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر،المكتبة الجامعية،٢٠٠٤م.

٤٥. هدى درويش: الإسلاميون وتركيا العلمانية (نموذج الإمام سليمان حلمي)، دار الأفاق العربية، القاهرة ،١٤١٨ه ،١٩٩٨م.

٤٦. يلماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، تر: أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ،١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٤٧. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، ج١، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا ،١٤٠٨ه١٩٨٨ م.

٤٨. يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر ،٢٠١١م.

المجلات:

٤٩. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٩٣م.

المعاجم:

١. معجم ألفاظ القرآن الكريم الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث،ج٢،د، د،ت.

الفهرســـــــــــــت

الشكر

الخطة

المقدمة.....

المبحث الأول لمحة عن شخصية سليم الأول (7-13)

أولا : مولده ونشأته.....ص **07**
ثانياً : صفاته.....ص **09**
ثالثاً : تولي سليم الأول العرش.....ص **10**
رابعاً :وفاته .....ص . **13**

المبحث الثاني : الامتداد العثماني باتجاه المشرق العربي (15-23)

المبحث الأول: دوافع توجه سليم الأول الى المشرق العربي.....ص **15**
المبحث الثاني: الصراع العثماني الصفوي.....ص **18**
المبحث الثالث: الصراع العثماني المملوكي.....ص **21**

المبحث الثالث : الضم العثماني لبلاد المشرق العربي (25-41)

أولاً : معركة مرج دابق والسيطرة العثمانية على بلاد الشام .....ص **25** .
ثانياً : التوسع العثماني نحو مصر .....ص **32** .
ثالثاً : السيطرة العثمانية على العراق .....ص **35**
رابعاً: انعكاسات سياسة سليم الأول في المشرق العربي وآثارها.....ص **40** .

الملاحق..... **(45-47)**
الخاتمة.....
قائمة المصادر..... **(ص43)**
المراجع..... **(49-52)**